Enlightenment collection's
EISSN: 2830-8719 / ISSN:2716-7852
V:14, N°:1 – 2024, P.P : 31-51

سلسلة الأنوار
EISSN:2830-8719 / ISSN: 2716-7852
المجلد 14، العدد 1-2024، ص.ص: 31-51

التكامل المعرفي بين العلوم الإسلامية والاجتماعية (علم الكلام و الفلسفة أنموذجا)

Cognitive integration between Islamic and social sciences (theology and philosophy as a model)

عبدالكريم سناني

جامعة الزيتونة بتونس/تونس، senani18abdelkrim@gmail.com

تاريخ الاستلام : 2023/06/15 ؛ تاريخ القبول : 2023/10/26 ؛ تاريخ النشر : 2024/02/20

الملخص

من خلال هذه الورقة البحثية نحاول إبراز النظرة التكاملية بين مختلف العلوم وبالأحرى بين العلوم الشرعية و الاجتماعية متمثلين في ذلك بعلمي الكلام و الفلسفة كانموذج جامع لكليهما، وفي المقابل فإن النظرة التجزيئية أثبت الراهن العلمي بعجزها خاصة وأنها توسلت باليات مغايرة متباينة للمنظومة التداولية لمختلف العلوم، إذ على الرغم من الاختلاف بينهما "علم الكلام" الذي يعد مظهرا للعلوم الإسلامية، و"الفلسفة" التي تعد مظهرا معرفيا للتفكير،إلا أن التكامل واقع على اعتبار أسس ومبادئ تجمع بين كليهما.

الكلمات المفتاحية: علم الكلام، الفلسفة، العلوم الإنسانية، العلوم الاجتماعية، التكامل المعرفي

Abstract

Through this research paper, we try to highlight the complementary view between the various sciences, and rather between the legal and social sciences, represented by the sciences of speech and philosophy as a comprehensive model for both. Despite the difference between them, "kalām" which is an aspect of Islamic sciences, and "philosophy" which is a cognitive aspect of thinking, but complementarity is based on foundations and principles that combine both

Keywords : Theology, philosophy, humanities, social sciences, cognitive integration

1-مقدمــة:

كثيرة هي المسائل التي طُرحت بالأمس القريب والبعيد في الفكر الإسلامي، لكن أعيد طرحها في يومنا هذا على الرغم من التباين الواضح في الظروف والملابسات، تشوبها إشكالات عدة قد تتجه نحو حل يريد الأخذ بهزال الأمة، مغيرا مبدلا مصوبا أو حتى مصححا.

ومن تم كان لأفكار رتقت العقول تحاول الدفع، و تغير الحال، و إن كان أهمها فكرة التكامل بين العلوم الدينية أو الشرعية والعلوم العقلية جليّة، حيث لا يشك أحد في قيمة هذين النوعين من العلوم، كما لا يتساءل أحد عن إمكانية الاستغناء عن أحدهما، و لا تخفى حقيقة التكامل بينهما.

ولأن الحاجة إليهما معا مفروغ منها، فلقد طرح الإشكال بالأمس وتعلّق بكيفية ترتيب هذين النوعين من العلوم حتى لا يقع تصادم بين الحقائق المقدمة من كليهما في بناء الإنسان والمجتمع، و لقد استطاع علماء الأمة وباحثيها تحقيق هذا التجانس والتكامل بينهما محاولين الإجابة عن العديد من الأسئلة لبناء معالم حلول جذرية تتناسب وبيئة الأمة.

و مع تغير الواقع والظروف والملابسات نشهد عصرا يتسم أساسا بالتفجر المعرفي والتقدم التقني الكبير وما انجرّ عنه في إطار تعقيدات البنى الحضارية ومؤسساتها في الغرب، حيث ظهر التيار التجزيئي خاصة في العالم النامي وحتى في طريق النمو يغلفون التأسيسات الفلسفية للمعرفة، وبذلك هيأت الثقافة الغربية المهيمنة تلك التبعية الإدراكية و التي جعلت من العلم الغربي منطلقا فكريا لبناء معالمها الحضارية.

وبذلك غُيِّب دور المخصبات الثقافية التي يمكن أن تفرزها الخصوبة الحضارية في الحقل المعرفي، هذا الذي أبرز تلك الأزمة التي أصبح يعاني منها الباحثون المسلمون المعاصرون في العلوم الاجتماعية والإنسانية والعلوم الأخرى حائرا بين قبول هذه المبادئ الإسلامية التي لا ترى أي تناقض بين العقل والوحي، والمبادئ العلمية الحديثة القائمة على التجربة التاريخية الغربية المؤسسة على افتراض التعارض بين العلم والدين، وهنا يطرح السؤال، كيف يلائم الباحث بين ما تطرحه النظريات من أفكار ورؤى وما تستند إليه من منهجية علمية ترفض المصادر المعرفية الدينية ولا

تعرف إلا بالمنهج العلمي التجريبي الحسي، وبين ما يؤمن به من أفكار دينية تتناقض في جذورها مع النظريات الفكرية والفلسفية والعلمية، وتقوم على منهجية مختلفة تعتمد على الوحي مصدرا معرفيا بجانب المعرفة التجريبية الواقعية والحسية.

ونحن من خلال هذه الورقة البحثية نحاول إبراز النظرة التكاملية بين مختلف العلوم و بالأحرى بين العلوم الشرعية و الاجتماعية متمثلين في ذلك بعلمي الكلام و الفلسفة كنموذج جامع لكليهما، وفي المقابل فان النظرة التجزيئية أثبت الراهن العلمي بعجزها خاصة وأنها توسلت باليات مغايرة متباينة للمنظومة التداولية لمختلف العلوم.

2- المبحث الأول : مفهوم التكامل

2-1- المطلب الأول: التكامل لغة :

ورد تعريف مصطلح "التكامل" تحت مادة "ك.م.ل"في المعاجم اللغوية القديمة و حتى الحديثة من خلال اشتقاقاته المختلفة و دلالاته الموحدة.

*فمن المعاجم القديمة:

- « كَمَلَ الشيء، وكَمُلَ فهو كامل،أي تام،وتكامل الشيء وأكملته أنا وأكملت الشيء،أي أحملته وأتممته،وأكمله هو و استكملته، وكَمَّله:أتمّه وحمله...» (منظور)

-« كمل الشيء يكمل كمالا،ولغة أخرى :كَمُلَ يَكمُلُ فهو كامل.و الكمال:التمام الذي يجزأ منه أجزاءه، تقول: لك نصفه وبعضه وكماله. و أكملت الشيء:أجملته وأتممته.وكامل: اسم فرس سابق كان لبني امرئ القيس...» (الفراهدي، 2002، صفحة 47)

-«الكمال: التمام، كمل...كمالا و كمولا فهو كامل و كميل. و تكامل و أكمله و استكمله و كمّله أتمّه.» (الفيروز أبادي، د ت، صفحة 46)

«و تكامل و تكمّل، أكملته، و كمّلتُهُ، و استكملته، و رجل كامل: جامع المناقب.» (الزمخشري، 1998، صفحة 146)

*ومن الحديثة:

-«تكامل:تمم الواحد الآخر باتحادهما...متكامل:عام، شامل...نظام متكامل: عنده مؤهلات لكل شيء، و معارف تشمل جميع الحقول...تكامل بين صناعات مختلفة يكمل بعضها بعضا، و تتعاون في الوصول إلى غرض واحد...تكاملي: منسوب إلى التكامل، صناعة تكاملي: صفة ما هو متكامل...» (أنطوان و آخرون، 2001، صفحة 320)

-« تكامل الشيء: كمل شيئا فشيئا...و التكامل في عرف الاقتصاد: هو الجمع بين صناعات مختلفة يكمل بعضها بعضا، و تتعاون في الوصول إلى غرض واحد.» (1426هـ/2005م، صفحة 798)

ومن تم كان تحديد المصطلح لغة يتحدد من خلال الدلالة نفسها وهي التمام.

2-1-1- التوظيف القرآني لمصطلح التكامل ومشتقاته اللفظية:

لم يرد مصطلح "التكامل" بهذه الصيغة في القرآن أو بهذا الاصطلاح، و لكن ورد بصيغته الفعلية "كمل" ومختلف تصريفاتها﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (سورة البقرة الآية 233)،وقال تعالى﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (سورة البقرة الآية 185)، وقال أيضا ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ

لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (سورة البقرة الآية 196) ، وقال ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (سورة المائدة الآية 3)

فكل هذه التوظيفات الاشتقاقية تفيد معنى الانتهاء عند المقصد المراد كما تفيد معنى التمام، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن « مفهوم التكامل في الإسلام مفهوم شامل لكل مناحي الحياة، ومطلوب في كل جوانبها؛ فهو مبدأ إلهي و أساس قرآني قامت عليه مقاصد الشريعة الإسلامية، ويتجلى في التنصيص على وسطية هذه الأمة و خاتمية رسالتها. فالوسطية والخاتمية اللتان يتميز بهما الدين الإسلامي، تقتضيان وجود رؤية تكاملية للأشياء.» (عكاشة، 1433هـ/2012م، صفحة 378)

وعليه يكون التكامل بين العلوم أو الأشياء وهو تمام بعضها بعضا، وتآلفها لتكون تامة وشاملة.

مما سبق هو التوظيف اللفظي لبعض اشتقاقات المصطلح؛ لكن القرآن الكريم قد قرر الرؤية التكاملية الشاملة التي تحقق الانسجام و التكامل بين مختلف أنشطة الإنسان الروحية و المادية، الفردية و الجماعية، الدينية و الدنيوية،وتم لا انفصال و لا تمزق في الوعي الإنساني، بل ينبغي أن تكون هناك تواصل بينه و بين جميع عناصر الوجود المتباينة، ومن تم يتم تحقيق التكامل بين مختلف معارفه و علومه، خاصة و أن النص القرآني نص محوري، و يعد عاملا أساسيا في تحقيق الرؤية التكاملية بين مختلف هذه العلوم المنبثقة عنه و المحيطة به.

إن النص القرآني نص رسالي بامتياز لا يسعى كباقي النصوصي الأدبية إلى التذوق و الجمالية بل يحمل الصفة الإبلاغية التوجيهية.

فالآيات القرآنية تحمل ضمنيا الرؤية المقاصدية التي تؤكد النظرة الشمولية التكاملية بل تتجلى من هذه النظرة الشمولية المقاصدية وسطية هذه الأمة التي و خاتمية رسالتها، فهاتان الصفتان يتميز بهما الدين الإسلامي عن سائر الأديان الأخرى.

إذ يكفي أن نقارن بين نظرة اليهودية و المسيحية و الإسلام للحياة مثلا، لترى منتهى ما يسعى إليه اليهودي أو المسيحي و هو تحقيق المتع الآنية دون اعتبار للآخرة، لذا نجده يحرص على الحياة الدنيا وتحقيق المصالح المادية أيما حرص. قال تعالى:﴿ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (سورة البقرة الآية 94).

2-2- المطلب الثاني: التكامل اصطلاحا:

التكامل هو نوع من التضام أو التآلف قصد تحقيق غرض سياسي أو ثقافي أو اجتماعي أو معرفي، أو فكري، وذلك انطلاقا من ضم المختلف قصد نشود المؤتلف، و كأنه دعوة لتلك النظرة الشمولية الموسوعية التي كانت سائدة قديما، و خاصة الكتابات العربية، قبل الاعتداد بالنظرة التخصصية التي مست البحث في العصر الحديث، كما أنه كنظرية تتسم بـ«"صفة التراكمية".» (بوقارة، د ت، صفحة 29) و يراد بها « تعدد و تنوع و تكامل مكونات الشيء أو نسق كامل.» (جدي، 2009، صفحة 475)

و بتحديد آخر:«انخراط الأجزاء في وحدة متكاملة بحيث يحصل الانسجام و التكامل والمحافظة على الوحدة. و قريب من هذا المعنى: انتقال الأجزاء من حال إلى حال مبدّدة إلى حال منتظمة.» (الحلو، د ت، صفحة 28)

كما أن المصطلح «يستخدم في كثير من الأحيان ليعني أن شخصا ما موسوعي في معرفته وثقافته؛ لأنه يلم بكثير من العلوم، و لو كان إلمامه من باب الثقافة العامة، و ليس المعرفة التخصصية. وفي هذا السياق يجري التنويه ببعض العلماء المسلمين الذين اتصفوا بالتكامل المعرفي، بمعنى الموسوعية، في اللغة و الأدب، و الفقه، و علوم القرآن،، و علوم الحديث، و التاريخ...» (المكلاوي، 1432هـ/2011م، صفحة 25)

فلو قلنا إن علم الكلام يأخذ أدلة على بعض مقدماته من بعض العلوم الكونية والإنسانية الأخرى مثلا، كما لو اعتمد المتكلم في فيزياء مثلا بأن المادة منقسمة حقيقة أو غير منقسمة في الحقيقة، أو حكمه على الكون، من حيث السعة والدقة والإتقان والمناسبة ونحو ذلك، فإن هذه

المعلومات وصل إليها الإنسان بالخبرة العادية الشائعة إن كانت ظاهرة، فلا بأس في هذه الحالة أن يأخذ المتكلم بعض تلك المقدمات من الفيزيائي ولابد أن يتمكن المتكلم في هذه الحالة أن من التأكد من قطعية هذه المسائل أو ثبوتها بمرتبة ما من مراتب الثبوت كالقطع أو الظن وذلك بحسب ما يلاءم موضوع حكمي، فإن كان أصليا، لا بد أن تكون مقدماته قطعية، وإن كان محل حكمه فرعيا، فيكفي أن تكون مقدماته ظنية. (فودة، 2015، صفحة 494)

ومن تم فهو أساس من ثنائية مهمة شكلت هاجسا للمعرفة "التعدد/ التكامل"، إذ «يمكن أن نستنتج مبدئيا أن التكامل و التعدد هما عمليتان تتوجهان من الوحدة نحو أو إليها، فبينما ينطلق التعدد من الوحدة(الواحد) ليصبح مختلفا و متمايزا، ينطلق التكامل نحو الوحدة(توجه الأجزاء نحو التوحد في كل).» (عباسي، 2012، صفحة 128)

هذه الصفة الناتجة عن ذلك التعاون و التآلف في المنهج أو الآلية أو الأسس المختلفة أو المتنافرة لتحقيق ما هو كلي شمولي لبناء العام و دراسة الكامل.

3-المبحث الأول: التكامل المعرفي عند القدامى

إن المتصفح لتراثنا المتنوع والغني، المتنوع بمختلف العلوم المأصولة منها والمنقولة، والغني بالمعارف المختلفة اختلاف منابعها ومشاربها، والتي استطاع علماءنا من دق العديد من الأبواب المعرفية عن طريق الاستئذان والأخذ بآداب الدخول إلى بيوت الغير، هذا بفعل تلك الروح المتفتحة على الغير والسعي إلى اكتشاف المحيط الجديد والذي تسلكه حضارات متنوعة ضاربة جذورها في التاريخ، ومن خلال السعي إلى نشر العقيدة الإسلامية والوصول إلى أبعد نقطة على ظهر هذه البسيطة، ومن خلال عوامل أخرى تمكن علماءنا من امتلاك تلك الثقافة الموسوعية والتي شملت مختلف جوانب الحياة، من فكر وفلسفة وطب وهندسة وحساب، وفلك وغيرها.

إن هذه الظاهرة (التكامل) أو الموسوعية أصيلة في التراث الإسلامي ،إذ وصف العلماء منذ عصور بألقاب تجتمع فيها عدة تخصصات، فقد كان العالم هو الفيلسوف وهو نفسه الطبيب والصيدلي والمؤرخ والرّحالة والقاضي والمتكلم والفقيه والمفسّر وغيرها من الألقاب التي ميزت المسلمين العلماء وأثبتت إبداعهم وثراءهم.

وعليه فإن التراث العربي والإسلامي هو في حقيقته نتاج تفاعل هذه العلوم المنبثقة أساسا من النص القرآني مع غيرها من علوم الأمم الأخرى، وبذلك فإنّ ما عني به علماء الإسلام هو تشييد علوم البيان والفهم المختلفة المؤدية إلى فهم النص الشرعي وهذا عن طريق وضع الضوابط وإرساء الشروط والقيود المعينة على الفهم والمساعدة على تمثل المقاصد الشرعية واللغوية المحمولة في النص. (بن عمر، 2015، صفحة 28)

ونظرا لكون العلوم متداخلة، تداخلا داخليا وخارجيا أي بين العلوم الإسلامية بعضها ببعض، وبين العلوم الإسلامية والعلوم المنقولة، كالمنطق والفلسفة والتصوف، والرياضيات وغيرها من العلوم المنقولة، فإن من آثار هذا التداخل حضور الموسوعية في التأليف والتصنيف والكتابة عند علماء الإسلام حيث صنفت الموسوعات، ووضعت المصنفات الضخمة والمؤلفات الكبيرة في مختلف العلوم وكانت هذه الموسوعة ميزة غالبة على أغلب علماء الإسلام «بحيث كان المشتغل باللغة والنحو وعلم التصريف، وعلم المعجم عالما بعلوم الشرع وبأشكال التآليف وبالفقه والتفسير، وكانت له مشاركة في الآداب وجميع ضروب المعرفة» (بن عمر، 2015، صفحة 37)

إن الثمين بالذكر في هذا المقام، أن التوجه الموسوعي الذي سلكه علماء الإسلام في الجمع بين العلوم المختلفة يفضي بنا إلى الإقرار بأنه يتعذر في تراثنا الإسلامي الفصل بين المتكلم والأصولي والفقيه والمنطقي، إذ الموسوعية كانت هي السّمة الغالبة والمهيمنة في تراثنا جميعا.

ودليل ذلك الأئمة الأعلام، الكبار كإمام الحرمين الجوني وأبو بكر الباقلاني، والقاضي عبد الجبار الهمداني والإمام فخر الذين الرازي وابن حزم الأندلسي والإمام أبي حامد الغزالي والذي تجلت الموسوعية والصورة التكاملية في عهده واضحة حتى أن الباحثين في شأنه لم يتمكنوا من تصنيفه كمتكلم أو أصولي أو متصوف أو فيلسوف، والشيء الظاهر عليه رحمه الله أنه كان يحمل نزعة تكاملية تجمع بين جميع هذه التخصصات، والحقيقة أن الغزالي فعلا تفرّد بهذا المشروع القائم على الجمع بين العلوم الماصولة والعلوم المنقولة، إلى جانب أبي المعالي الجوني وابن حزم الأندلسي الأصولي.

«وإن كانت هذه الريادة والأسبقية، يبقى يتقاسمها الإمام الغزالي في المشرق، وابن حزم الأندلسي في الغرب الإسلامي، بحيث عمل على كل واحد منها على تقريب القول المنطقي إلى علم الأصول الفقه، والجمع بين الممارسة المنطقية والممارسة الكلامية والأصولية ... فإن البعض ينسب هذه الريادة والأسبقية في هذا التقريب بين المنقول المنطقي وعلم أصول الفقه إلى الإمام أبي حامد الغزالي (ت 505 هـ) في كتابه المستصفى انطلاقا من مقدمة هذا الكتاب... وهو الاختيار والرأي الذي ناصره ابن قدامة المقدسي وأتباعه من الحنابلة في كتابه الأصولي الروضة» (بن عمر، 2015، صفحة 39)

والحقيقة أن هذا العمل الذي قام به هؤلاء الأعلام في التقريب بين العلوم بعضا ببعض، خاصة ما يتعلق بالمنطق إلى علم أصول الفقه، تجسّد في «صياغة الحدود وبناء الاستدلالات، وصناعة التعريفات المنطقية صياغة منطقية، كان من آثاره أن كثيرا من العلوم اختارت استثمار نتائج علم المنطق واختارت صياغة حدودها ومسائلها ومعارفها، صياغة منطقية على شكل قواعد كلية، وهو مالا يلزم عنه، ومن المشتغل بالتراث أن يكون طالبا، ومستحضر العلم المنطق من أجل أن يستوعب النسق المعرفي ووظائفه» (بن عمر، 2015، صفحة 40)

4-المبحث الثاني :التكامل المعرفي عند المحدثين

لقد تأكد في ما سبق أن ظاهرة التكامل عموما أصيلة بالتراث الإسلامي، فقد حمل علماءنا في الوقت الماضي وفي العصور الأولى ألقابا اجتمعت فيها عدة أوصاف يمكن وصفها اليوم بتعدد التخصصات، تميز بها علماؤنا من قبل و أثبتت إبداعهم وثراءهم.

كما فرض في العصر الحديث التوسع المعرفي الهائل اتساع فصول المعرفة وتعدّد التخصصات وهذا لغرض ترتيب المعرفة وتنظيم توسعها، إلا أن هذا التعدد التخصيصي كان عاملا في قتل الوحدة العلمية والترابط بين أجزاء المعرفة، وهذا مما جعل العديد من المفكرين والباحثين في شتى الميادين العلمية والمعرفية يستدعون لإيجاد حل لهذا التشتت المعرفي والقراءة التجزيئية المنحلّة، فكانت حضور فكرة التكامل المعرفي كإحدى الوسائل والخروج من هذا المأزق لغرض ربط ما تم رتقه ووصل ما تم فصله وبذلك ظهرت العديد من الدراسات والأبحاث العلمية التي تؤكد هذا

المنحى المعرفي، خاصة بعد بُدُوِّ ملامح النهضة العربية، وبروز مشروع الحداثة على مختلف مناحي الحياة، أدبيا، ثقافيا، اجتماعيا واقتصاديا.

وعلى الرغم من استطاعة المشروع تحقيق «وعوده بزيادة المعرفة والتقدم من متطلبات الحياة المادية الخارجية، لكن الثمن كان باهظا، فالحداثة ولّدت تركة هائلة من المشكلات الكونية غير المسبوقة، تهدّد مستقبل الإنسان ومستقبل الكرة الأرضية... فقد نتج عن النموّ الأُسيّ للمعلومات والبيانات كتلة ضخمة من المعرفة كان لابدَّ من تقسيمها إلى حقول وتخصصات من اجل التعامل معها وكلَّما زادت ضخامة هذه الكتلة لزم الاستمرار في التجزئة والتقسيم... وفي الوقت الذي أصبحنا فيه أناسا نعرف أكثر عن الأشياء الأقل فالأقل، فإننا في الوقت نفسه للأسف أصبحنا نعرف أقل فأقل عن الأكثر فالأكثر» (المكلاوي و آخرون، التكامل المعرفي وأثره في التعليم الجامعي، صفحة 24)

وبعد الصدمة التي واجهت المسلمين نتيجة التفوق العلمي الصناعي للغرب، فقد دعي العديد من المفكرين والعلماء المعاصرين للدعوة إلى خطورة الفصل بين الإسلام والعلم وضرورة التوحيد بينهما، ومن هؤلاء نجد المرحوم إسماعيل الفاروقي ومعه مدرسة إسلامية المعرفة وعدد من الجامعات ومراكز البحث، دعوا إلى ضرورة اعتبار الأزمة التي تتخبط فيها الأمة الإسلامية على أنها أزمة ثنائية نظام التعليم الديني والعلماني، وأن الأمة لا يمكنها الاستفادة من العلوم المعاصرة بصورتها الحالية، سواء الإنسانية أو الاجتماعية وحتى الطبيعية ولأنّها جميعا «وجوه لرؤية تكاملية للحقيقة والعالم والتاريخ وكلّها غريبة عن الإسلام، وبذلك رأوا أن الحل في هذه الأزمة في توحيد نظامي التعليم الإسلامي (التقليدي) والعلماني (المعاصر) في نظام واحد لجمع حسنات النظامين/ مع إجراء التطويرات اللازمة للمعارف التي تقدمها أنظمة التعليم بصورة تتم فيها صياغتها من منظور إسلامي» (المكلاوي و آخرون، التكامل المعرفي وأثره في التعليم الجامعي، الصفحات 26-27)

كما برز بالإضافة إلى هؤلاء المفكرين دعاة لخطاب إسلامي معرفي ينظر إلى وحدة المعرفة في سياقها التقليدي يقوم على مبادئ مشتتة من التعاليم الخالدة للوحي الإلهي في صوره المختلفة،

ويتبنى هذا الخطاب الفلسفي الصوفي ثلّة من العلماء المعاصرين أشهرهم سيد حسين نصر (سيد حسن)، وسيد محمد نقيب العطاس (https://ar.wikipedia.org/wiki/) وتلاميذهم في ماليزيا وإيران وتركيا والولايات المتحدة الأمريكية والشيء الذي يبدو حول هذه الرؤية أنها «تقدم على الفلسفة التأملية وتتجاوز المحددات الأخلاقية للعمل في الكون إلى ميتافيزيقا محددة ترى الطبيعة ذا أهمية روحية... وهي تكتفي في هذا المجال مع كثير من العلماء الذين ينطلقون من فلسفة تحليلية مخافة تماما من حيث توقعاتهم لمصير الإنسان في الكوكب الأرضي، في ضوء المشكلات المنظورة وغير المنظورة وغير المعترف بها» (المكلاوي و آخرون، التكامل المعرفي وأثره في التعليم الجامعي، صفحة 28)

وعلى العموم فإن هؤلاء العلماء يدركون ضرورة التكامل المعرفي بالنسبة للعقل المسلم في تطوير الفهم السليم للكون والحياة والإنسان، على الرغم من أن البعض يسميها: أسلمة المعرفة.

5-المبحث الثالث: مبررات القول بالتكاملية المعرفي

لا ريب في أن لكل مفكر منطلقات معرفية ومنهاجية تشكل إطارا مرجعيا وأرضية راسخة لمجمل الأفكار التي يطرحها وعلى ضوء هذه الرؤية تتحدد الإشكالات المعالجة.

كما أن إدراك هذه المنطلقات يفتح درجة معينة من الاستيعاب والرؤية التكاملية، لذا يمكن القول أن من أهم الجوانب المعرفية والتي تعدّ كمبررات أساسية للتكامل المعرفي ما يتعلق بما يلي:

5-1-المطلب الأول: مركزية النص القرآني

يعدّ الخطاب القرآني من الدواعي المساهمة في التكامل المعرفي، إذ يعدّ هذا النص الرباني نص مركزي في الحضارة الإسلامية بامتياز ولافت للانتباه وبذلك فقد نتج عن محورية النص القرآني في الثقافة العربية الإسلامية أن برزت شبكة متكاملة ومتداخلة من العلوم، من فقه وأصول وحديث وسنّة وتفسير وقراءات وغيرها من العلوم الشرعية بالإضافة إلى علوم الآلة وهي علوم العربية والتي تعرف بالعلوم المساعدة، كالنحو، الصرف، والتصريف والمعجمية وفقه اللغة والبلاغة، والتي لا حيّز واسع وحضور قوي في مباحث العلوم الشرعية وبذلك فما من علم إلا وكان القرآن الكريم هو المحور الذي

يتحرّك حوله هذا العلم، وهذا الأمر ينطبق على مختلف فروع المعرفة الإنسانية التي ظهرت في الثقافة العربية الإسلامية.

وعليه فمدار العلوم الإسلامية كلّها هو النص القرآني النص المؤسس الذي ساعد على تحقق هذا التواصل والتكامل والتجاسر والتشابك بين مختلف العلوم وما يتفرع عنها، فهو بمثابة وحدة المرجع الذي يجمعها.

لهذا نجد كثير من الباحثين نعتوا الحضارة الإسلامية بما أنّها ترتكز على النص القرآني بحضارة نص.

هذا وعلى الرغم من العناية والإهتمام الكبير الذي لقيه النص القرآني تفسيرا واستمدادا وبيانا، فقد نشأ اتجاها ينعت نفسه بالحداثي يسعى لقراءة النص القرآني، قراءة جديدة وهذه الدعوى تحتمي بشعار المناهج والآليات الجديدة المستخلصة من اللغويات، ومناهج تحليل الخطاب، فهذه جميعها على الرغم من إمكانياتها التفسيرية والعلمية إلا أنها سعت إلى إعدام النص واغتياله عبر مراهنتها عدّة على المعنى الواحد للنص ومرّة على المعنى المتعدد تعدّدا مفتوحا، حتى غدت السلطة للقارئ وقدراته القرائية وبذلك انتقلت ملكيته من صاحبه إلى قارئه.

5-2-المطلب الثاني: وحدة المعرفة والحقيقة

لقد تباينت القراءات المتعددة للمعرفة الإسلامية وللتراث الإسلامي عموما، خاصة تلك الرؤية التجزيئية لبعض المفكرين العرب، والتي كما يشير إليها طه عبد الرحمان أنها اعتمدت على آليات عقلانية تجريدية، تسييسية لا تأنيسية تتحدث إلى حدّ كبير على صفة التداخل المعرفي الذي تقوم عليه المعرفة الإسلامية والتراث الإسلامي واتسمت هذه الرؤية المتباينة والخارجة عن المجال التداولي بمبدأ الفصل بين القيم والإزدواجية المتضادة.

إن النظرة السلمية فعلا هي تلك التي تعبّر عن الإيمان العميق بأن الدين الإسلامي أوجد تكاملا معرفيا بين المقاصد العليا المستنبطة عن القرآن الكريم، بين الله والكون والإنسان والواقع.

ولهذا فيما نقول بوحدة المعرفة كمبرر معرفي لهذا التداخل والتكامل بين العلوم، لا يمكن أن نقول بالفصل بينهما سواء منها اللغوية أو الأصولية أو المنطقية أو الفلسفية وعليه « فلم يكتف علماء

الإسلام بالقول بتدرج العلوم فيما بينها بل أقرّوا بمشروعية تفاعل العلوم بعضا مع بعض وتشابك العلاقات بينها، فالمباحث الكلامية تتفاعل مع المباحث اللغوية والفلسفية، كما تتفاعل المنطقية مع المباحث اللغوية والأصولية وهكذا وقد ساهم هذا التفاعل في إثراء العلوم والفنون بعضها ببعض وفي توجيه مسار لبعض الآخر بل أدّى ذلك التفاعل إلى امتزاج مصطلحات العلم الواحد بمصطلحات غيره من العلوم». (الرحمان، د ت، صفحة 71)

ومن جهة أخرى فإن وحدة المعرفة في تراثنا العربي والإسلامي تنبثق أساسا من تلك النظرة القرآنية التي تجمع بين الوحي والعقل والواقع كمصادر أساسية للمعرفة عموما.

إن هذه الوحدة (وحدة الحقيقة) هي الأساس الذي تقوم عليه الرؤية التكاملية، كما أنّها (وحدة الحقيقة) مستمدة من مبدأ التوحيد ومن مبدأ الشهادة الفكري فهناك تطابق بين حقائق الوحي وحقائق الواقع والذي يقوم على ثلاثة مبادئ ترتكز عليها المعرفة الإسلامية.

1- وحدة الحقيقة تفرض أنه لا يوجد تعارض بين الحقائق الواقعية، وما يأتي به الوحي، فكلّ ما يقرره الوحي، لابد أن يكون صادقا منسجما مع الواقع، موافقا له، فإن وقع أي تفاوت بين الوحي والواقع فإن على المسلم أن يراجع دقة فهمه للوحي. (حسين و آخرون، 2012، صفحة 270)

2- إن وحدة الحقيقة المطلقة، تفرض أنه لا يوجد تعارض أو خلاف أو تفاوت مطلق بين العقل والوحي، وعليه فإن الفصل بينهما أمر يترتب عليه خلل وفساد في التصور مما يؤدي إلى الفهم الجزئي القاصر، فأي فصل بين الله، الكون والواقع لا محالة هو بمثابة إجحاف في حق هذا الإنسان الأصلي الذي فعلا تحول بفعل العوائد المعرفية والتاريخ خاصة.

3- إن وحدة الحقيقة المطلقة أو طبيعة قوانين المخلوقات والسنن الإلهية تفرض أن باب النظر والبث في طبيعة الخلق أو في أي جزئية منه، لا يمكن أن يغلق، لأن سنن الله في خلقه غير محدودة، فمهما عرفنا منها ومهما تعمقنا في هذه المعرفة، فلا يزال هناك المزيد ليكشف ويسخر... ولذا فإن الاستعداد لقبول الجديد من المورکات والبراهين، والإصرار على متابعة البحث في خصائص لأزمة العقل المسلم الذي قبل ووعي مبدأ وحدة الحقيقة. (الفاروقي، 1983، صفحة 103)

وخلاصة القول فإن المعرفة في منهج الوحي مشروع مفتوح وجهة متواصل وسعي مستمر لأجل الكشف عن الحق والحقيقة التي لم تشوبها شائبة.

5-3-المطلب الثالث: الاقتصار على النظر في المضامين

يرى بعض الباحثين من دعاة النظرة التكاملية وصدارة المنهج التكاملي أن « النص التراثي الخطابي من العناصر المقترنة بينها بعلاقات الإلتحام التركيبي والالتئام الدلالي، وبعبارة أخرى: جملة المضامين هذه الأحكام وتبليغها وتقويمها».

كما أن الوسيلة أو الآلية التي يمكن للمضمون في وجوده وأثره، إذ أن قصور هذه الوسائل ينعكس لا حالة على المضامين المعرفية.

6-المبحث الرابع: العلاقة بين علم الكلام والفلسفة

6-1-المطلب الأول: مفهوم علمي الكلام والفلسفة

- **مفهوم علم الكلام:** إذا أردنا أن نعطي صورة عامة عن علم الكلام، تجدر الإشارة هنا إلى القول بأنه علم دقيق ومضبوط المعالم من حيث كثرة تسمياته، وتعدد تعريفاته وتداخله مع علوم الدراية والرواية في الآن ذاته.

كما يمكن القول أن هذا العلم فيما ننظر في مدونات العقائد الإسلامية أن نلحظ ذلك التعدد في التسميات من علم الكلام إلى علم الكلام الإسلامي، إلى الفقه الأكبر، إلى أصول الدين، علم التوحيد، علم العقائد، علم النظر الاستدلال.

بالإضافة إلى علم المناظرة العقدي، وعلى الرغم من هذه التعددية في التسمية، وهذا التعدد التداخلي مع مختلف العلوم الإسلامية، فإن هذا العلم يقف على مجموعة من المفاهيم أشهرها، ما قاله التفتزاني: « أعلم أن الأحكام الشرعية منها ما يتعلق بكيفية العمل وتسمى فرعية ومنها ما يتعلق بكيفية الإعتقاد وتسمى أصلية واعتقادية، والعلم المتعلق بالأولى يسمى علم الشرائع والأحكام...وبالثانية علم التوحيد والصفات». (التفتزاني، د ت، صفحة 4)

كما عرّفه الإيجي، بقوله: « علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ورفع الشبه». (الإيجي، د ت، صفحة 7)

كما نجد الغزالي ينحي منحى في تعريفه إذ يقول: « علم مقصوده حفظ عقيدة أهل السنة وحراستها عن تشويش أهل البدعة». (الغزالي، 1939، صفحة 81)

وعليه فمن خلال هذه التعاريف، نجد أن علم الكلام ينحى أحيانا منحى الدفاع عن العقائد الدينية، وهذا باعتباره آلة الفكر الكلامي، الذي يتمكن من خلالها عن طريق المناظرة والحجاج الرد على اتهامات المشككين وكبح جماح مناوراتهم ومراوغاتهم.

كما نجده ينحي منحى عرض العقيدة الإسلامية، وأحيانا التهجم عن المشككين ودحض أقاويلهم وشبهاتهم سواء كانوا من دائرة المسلمين أو من خارج دائرتهم من دعاة الملل والنحل الأخرى.

وعموما فإن التوجه العام الذي جعل العديد من المفكرين يسلكونه هو أن علم الكلام ينبغي أن يكون وفق المسلك التالي المتعلق بـ « تجديد الصلة به عن طريق توفير الدافع الداخلي الذي يجعل قلب المؤمن ينتفض ويستردّ الحياة فينتصر على الخمول والجمود ». (إقبال، 1955، صفحة 9)

ولهذا يرى صاحب مشروع النهضة والظاهرة القرآنية، أن نتجاوز مهمة العلم بالله، والبرهنة على وجوده، فيلتقي مع محمد إقبال في هذا إذ يؤكد على أن المسألة اليوم بالنسبة إلى الإنسان المسلم ليست الإثبات له بوجود "الله" وهي المهمة التي اصطلح بها علم الكلام التقليدي وإنما « أن نشعر بوجوده ونملأ به نفسه باعتباره مصدرا للطاقة». (بن النبي، 2002، صفحة 55)

ومما سبق نرى تلك الصورة التكاملية التي أثبتت نفسها وأثبتها هؤلاء المفكرين بين علم الكلام كعلم تأسس لأسباب فرضت نفسها، وله أغراضا سعى لتحقيقها تماشيا مع واقعه التاريخي، وعليه الآن أن يكون متكاملا مع بعده الوظيفي المتمسك بمستجدات عصره، ومتطلبات واقعه، ولذا بدا لنا جليا، هذا التكامل بين العلم وبعده الوظيفي (العملي).

- **مفهوم الفلسفة:**

تعرف الفلسفة بمحبة الحكمة "phila–sophi"، إذ يقول أبو منصر الفارابي (ت / 335 هـ/950م) "فيلاسوفيا" ومعناه إيثار الحكمة وهو في لسانهم مركب من "فيلا" ومن "سوفيا"، ففيلا: الإيثار وسوفيا: الحكمة. (أسبيعة، 1999، صفحة 640)

وعلى العموم فإن التنكير الفلسفي اليوناني قد مرّ بأطوار زمنية وفي الوقت نفسه موضوعية، فقد تحول من المنزع الأسطوري إلى الفكر التأملي (طاليس، وأنكسيموندروس وأنكسمانس).

ومن الطبيعة إلى الإنسان (النزعة السوفسطائية ومبادئها كنقد الفكر الديني، الذات محور التفكير، الخطابة، البلاغة لاستمالة الناس، نقد كأخلاق، النسبية المعرفية والأخلاقية لا ننسى طور إعادة الإعتبار للمبادئ الكلية وقيم المعرفة العقلية والأخلاقية (سقراط، والمنهج التهكمي والتوليدي).

وكذلك طور التأسيس النسقي للفكر الفلسفي (بدوي، 1984، صفحة 164) وعلى العموم فإذا كانت هناك العديد من التعاريف الخاصة بالفلسفة كعلم ومادة علمية، بل هي بحر على خلاف البحور يجد الواقف على شطئانه الخطر والزلل وفي لججه وأعماقه البرّ والإطمئنان، وإذا كان البعض اعتبرها بتاريخ الأفكار والتمرين على التفكير وفقا لقيم الفكر الفلسفي (النقد، المساءلة، الفحص، الشك، المنهجية، الحوار، التدمير...) أو هي عبارة عن التزام أخلاقي تجاه ما هو مخالف للفطرة الإنسانية بما في ذلك الهيئة الخلقية والروحية التي انطوت عليها نفس الإنسان، ويكون الغرض من هذا الوصول إلى الحق. (بلعزوز، 2015، صفحة 27)

وما يمكن أن نستأنس به في هذا المجال ما ذهب إليه طه عبد الرحمان في كتابه الحق العربي في الإختلاف الفلسفي، حيث يقول: « لئن كادت تعاريف الفلسفة أن تتعدد بتعدد الفلاسفة، فلا يمتنع أن نحصرها في قسمين كبيرين:

أحدهما: قسم التعاريف الإستشكالية، وهي تنبني على تحديد مضمون الفلسفة، إذ تعرف الفلسفة بكونها جملة من الإشكالات والأسئلة التي يتولى الفيلسوف إثارتها ويجتهد في الجواب عنها أو بكونها جملة من الحقائق والنتائج التي يتولى الفيلسوف طلبها وتجتهد في استنباطها.

والقسم الثاني: هو قسم التعاريف الاستدلالية وهي تنبني على تحديد منهم الفلسفة، إذ تعرف الفلسفة بكونها طريقة في البحث تختص بممارسة الاستدلال المنطقي واستعمال النظر النقدي». (الرحمان، الحق العربي في الإختلاف الفلسفي، 2002، صفحة 51).

6-2-المطلب الثاني: مجالات الافتراق والاشتراك (التداخل) بين الكلام والفلسفة

- **من حيث الموضوع:** مواضيع علم الكلام المتعددة كالإلهايات والنبوات والقيم مع مباحث الفلسفة وإن كان البحث بالنسبة للمتكلم يكون مقصودا لذاته ولبناء شخصيته الإسلامية والدفاع عن إيمانه بالحجج والبراهين، أما البحث في الفلسفة فيحتمل أن يكون مقصود لذاتها أو لغيرها، وهذا تابع لطبيعة ونوع الموضوع الفلسفية، وبذلك فإن مواضيع الفلسفة متنوعة أنواعًا لكل نوعا منها أحكام وموضوع وغايات، ولهذا فالمقارنة الموضوعية أي بحسب طبيعة الموضوع بين هذين العلمين تتنوع بتنوع هذه المواضيع الفلسفية من جهة وغرض المتكلم من جهة أخرى.

- **من حيث الأدلة والوسائل المستعملة:** إذا لاحظنا في طبيعة الاستدلال لهذه العلمين والسوائل المستعملة فإننا نجدهما يقبلان جميع أنواع لأدلة خاصة العقلية منها وعلى الرغم من هذا يبقى تقديرها في المجال الذي يتحرك فيه كل علم، وخير مثال لذلك، فإن الفلسفي الذي يغلّب النظرة الوضعية، تجده لا يعترف بكل ما يأتي من حقائق لا تخضع للتجربة وهو بذلك ينبغي إمكان البحث فيه وجودا وعدما.

أما عند المتكلم الذي يؤمن بالغيب ويؤمن بتلك الحقائق الغير خاضعة للتجربة وبهذا يستعمل سائل وآليات برهانية عقلية غير تجريبية.

ومن ذلك يمكن القول أن هناك خمسا من الأدلة وطرق النظر مرفوض كليا عند البعض (المتكلمين) الذين يسعون إلى الدفاع عن العقائد بالحجج والبراهين التي تعدّ منطلقات ثابتة غير قابلة للتنازل، أما الفيلسوف فإنه هو ذلك الذي يسعى إلى الوصول إلى الحقائق والبرهنة عليها انطلاقا مما يؤمن به عقله خاصة، إذ يعتبره هو المنطلق والمصب.

ج- من حيث الغاية: تعدّ الغاية أو الغرض المعرفي من أهم بل أعظم أسباب النشأة لكلا هذين العلمين، فإذا كان المتكلم يسعى دوما إلى نصرة العقائد الدينية بالأدلة اليقينية، وهذا بغض النظر عن الاختلاف في الجزئيات بين المتكلمين.

أما الفلسفة فلا يمكن الجزم بنفس الغاية والغرض المعرفي، بل إن البعض من هذه الفلسفات من ينكر وينفي هذه العقائد الدينية من جذرها. (فودة، 2015، صفحة 509) مع الإشارة إلى أن هذا التباين كما أشرنا إليه لا يستلزم أن تكون الفلسفة معارضة للدين صراحة أو لزوما.

وبعبارة أخرى أن السبب وتباينهما في الغاية يعود بالأساس للمنطلق المعرفي لكليهما، فهما يطلقان من طريقين متوازيين فالفلسفة تجعل من الإنسان أحد أهم المحاور العلمية ساعيا إلى إسقاط أي قدسي أو غيبي أو إلهي واعتبار التدين، ظاهرة دينية ناتج عن عمل إنساني أن معطى نفسي قام الإنسان بخلقه وهذا بناء على توافقات مع الظواهر الطبيعية والارتباط النفسي إزاءها، كما أن دراسة النبوات بمثابة تحصلات بشرية، وبذلك ينتهي بالباحث الفيلسوف إلى إسقاط أي شرعية عن الأديان والنبوات والمقدّسات، وهذا ما يخالف منطق المتكلم المنطلق من فكرة الألوهية كمركز انطلاق لكل العمليات التعريفية والتبليغية وعلى هذا يمكن التأكيد مرة أخرى على أن التكامل بين هذين العلمين فيه تناقضا.

د- من حيث المبادئ: في الفلسفة ليس هناك ما يسمى بالإنطلاق من المسلمات، فكل شيء قابل للتغير بعد البحث والتحليل العلمي، وكل ما يتقدر يقوم عليه الدليل هذا على الرغم من أن العديد من الفلاسفة أخذوا كثيرا من مقولاتهم من الأديان نفسها وأنهم حاولوا إخفاء ذلك وإيهام أنهم استنبطوها استنباطا وتوصلوا إليه استدلالا. (فودة، موقف إبن رشد من علم الكلام، 2009، الصفحات 75-76)

هذا بالإضافة إلى أن المتكلمين في نظر الفلاسفة يأخذون مسلمات بلا وجه دلالة ودليل، فهذا فيه مغالطة، فإذا أراد المتكلمين إثبات وجود الله والأنبياء والشرائع فإنه يقيمون أولا: البراهين عليها بعد أخذها، سواء كانت هذه البراهين عقلية أو عدم تعارضها مع قطعي، وهذا الإثبات والاستدلال كاف، بل كثير من الفلسفات تقيم منظومتها الفكرية على مثل هذه الطرق الاستدلالية. (فودة، تكامل العلوم علم الكلام والفلسفة أنموذجا بحث في العلاقة بينهما، 2015، صفحة 510)

وفي هذا الصدد نقوم بتحضير نص نفيس للإمام التفتزاني على الفرق بين الكلام والفلسفة، إذ يقول: « فتميّز الكلام عن الإلهي، بأن البحث فيه إنما يكون على قانون الإسلام أي الطريقة المعهودة المسماة بالدين والملة والقواعد المعلومة قطعا من الكتاب والسنة والإجماع مثل كون الواحد موجدا للكثير، وكون الملك نازلا من السماء، وكون العالم مسبوقا بالعدم، وفانيا بعد الوجود، إلى غير ذلك من القواعد التي يقطع بها في الإسلام دون الفلسفة، وإلى هذا أشار من قال: الأصل في

هذا العلم التمسك بالكتاب والسنة أي التعلق بهما وكون مباحثه منتسبة إليهما جارية على قواعدهما، على ما هو معنى انتساب العقائد للدين». (التفتزاني س.، 1305هـ)

أما في مجال الاشتراك: فتوجد العديد من المسائل يشترك في البحث فيها كل من الكلام والفلسفة، وهذا لما في موضوعيهما من تداخل وإشتراك في عدة جوانب وأهمها:

1-أسس المعرفة: وما يسمى في العصر الحديث بنظرية المعرفة (الابستمولوجيا) وهذا بجميع جوانبها ومباحثها تقريبا وسواء تعلقت هذه الجوانب بالأسباب أو المصادر أو غيرها.

وفي هذا يمكن القول أن علم الكلام وخصوصا ما يسمى بالجديد منه أهم الكلام الجديد، فعلى الرغم من الخلفية الغيبية، واللاهوتية لعلم الكلام الجديد، الذي يسعى أيضا إلى التطبيق المنهجي عند تحليل الظواهر بمبادئ لا تتناسب أحيانا وقدسية المادة المدروسة (الله، النبوة، الوحي، والمعجزات، والبعث واليوم الآخر)، فإنه يجعلها من اهتماماته المعرفية مستعينا في ذلك بتلك الآليات المعرفية معتمدا على أساليب النقد والتقييم والتقويم خاصة في العملية التكاملية مع مختلف العلوم الأخرى.

وبذلك فعلم الكلام الجديد بإمكانه مواكبة ما استحدث في هذا العصر، والاستعانة بمختلف العلوم خصوصا ما كان لا علاقة بالإنسان كعلم الأنثروبولوجيا، (علم الإناسة) الذي يدرس طبيعة الشعوب وحقائقها هذا لغرض تكريس الأنظمة السياسية بما يناسب طبيعة الشعوب.

2-أسس النظر والفكر والاستدلال، والطرائق الصحيحة للنظر وغير الصحيحة، كما أن هذين العلمين يشتركان في تأسيس المباحث المنطقية، هذه المباحث التي اعتبرها البعض دخيل في حين وظفه البعض وطبقه في علم أصول الفقه (وحتى عند المتكلمين) وهذا ما يبيّن ذلك التكامل بين الموجود بين المنطق كأهم مباحث الفلسفة والعلوم الإسلامية بما فيها علم الكلام، فهو عند الغزالي يعتبر ذلك النظر في طرق الأدلة والمقاييس وشروط ومقدمات البرهان وكيفية تركيبها، وشروط الحد الصحيح وكيفية ترتيبه. (الغزالي، 1939، صفحة 103)

3-القيم الأخلاقية من خلال البحث فيهما هل هذه القيم حقيقية أو وضعية، هل لأخلاق مكتبة أم فطرية وهذا في الحقيقة مباحث متعلقة بالإنسان، وإن كان الكثير من الفلاسفة يختلفون في تعريفها وتحديد علاقتها بمكونات الإنسان الأخرى العقل، والحدس والإدراك، وغيرها إلا أن دراستها متقاربة، في الكثير منها.

4- هناك بين الكلام والفلسفة تصورات أساسية كثيرة، نحو الزمان والمكان والفعل والإنفعال والحركة.

5- حقيقة المادة ومما ت تكون والاتصال فيها والانفصال.

6- مسألة حرية الإنسان، والتكليف والامتحان والاختيار ومسألة الثواب والعقاب، على الأفعال وخصوصا مسألة ترتيب هذه العقوبات.

7- مبحث النبوات وحقيقتها، وما فائدتها للجنس البشري، وهل تعدّ من مصادر المعرفة للإنسان وهل يمكن لهذا الإنسان عدم الاستعانة في حياته بالغير والاكتفاء بقدراته العقلية أو التجريبية.

8- مبحث الروح والنفس وحقيقة الإنسان وموقعه بين هذه المكونات.

9- مبحث الحرية، العدل، المساواة وغيرها من المواضيع التي يتداخل فيها كل من علم الكلام والفلسفة وهذا مما يظهر مدى التشابك والتداخل بينهما.

هذا وبغض النظر عن النتائج وما يتوصل إليه الباحثون في عملهم ا لبحثي وبغض النظر عن التوافق وباختلاف فإن الاشتراك في البحث لكليهما (الكلام والفلسفة) يوجب على كل باحث من الباحثين الإطلاع على كل منهما على ما توصل إليه الطرق لآخر استفادة منه وتجنبا للأخطاء وهذا يعدّ في صميم التكامل.

7- قائمة المصادر والمراجع:

الفراهدي ا. ب. أ. (2002). معجم العين. بيروت لبنان: جار الكتب العلمية.

بن عمر م. . (2015). التداخلية بين العلوم في التراث العربي -الدواعي واالأسباب والتجليات-. المعيار , (40).

ابن منظور ج. ا. ب. م. (1988). لسان العرب. القاهرة مصر: دار المعارف.

جدي ع. إ. (2009). معجم مصطلحات ومفاهيم التعليم والتعلم. القاهرة: عالم الكتب.

الفيروزأبادي م. ا. م. ب. ي. (1978). القاموس المحيط. لبنان: دار الكتاب العربي.

الإيجي ع. ا. (1983). في علم الكلام. بيروت: عالم الكتب.

بوقارة ح. (2011). التكامل في العلاقات الدولية. الجزائر: مخبر البحوث والدراسات في العلاقات الدولية.

الغزالي أ. ح. (1939). المنقد من الظلال. دمشق : مكتبة النشر العربي.

طه ع. ا. (2011). تجديد المنهج في تقويم التراث. لبنان: المركز الثقافي العربي.

إقبال م. (1955). تجديد الفكر الديني في الإسلام. القاهرة: الكتبة .

عكاشة ر. ج. (2012). التكامل المعرقي–أثره على التعليم الجامعي وضرورته الحضارية–. القاهرة: المعهد العالمي للفكر الاسلامي.

الزمخشري أ. ا. ج. ا. م. (1998). أساس البلاغة. بيروت: دار الكتب العلمية.

فودة س. (2015). تكامل العلوم–علم الكلام والفلسفة أنموذجاه–. المعيار, 2(40).

الملكاوي ف. ح. (2011). منهجية التكامل المعرفي–مقدمة في المنهحية الاسلامية–. لبنان بيروت: مكتب التوزيع في العالم العربي.

الفاروقي إ. (1983). إسلامية المعرفة–المبادئ العامة وخطة العمل. الكويت: دار البحوث.

عقيلة ح. (2012). ضرورة التكامل المعرفي في التحصيل العلمي والتخصيل الثقافي. في التكامل المعرفي. القاهرة: المعهد العالي للفكر الاسلامي.

تأليف ج. (2005). المعحم الوسيط. القاهرة: مكتبة الشرق الدولية.

عباسي ن. (2012). التكاملية–التعددية في المقاربات السوسيولوجية كاستراتجيات معرفية. عالم الفكر, (1).

أنطوان ن. (2001). المنجد في اللغة العربية المعاصرة. لبنان بيروت : دار الشرق.

التفتازاني س. ا. م. (1988). شرح العقائد النسقية في أصول الدين وعلم الكلام. دمشق: منشورات وزارة الثقافة والارشاد.